عينة للقراءة متاحة من قبل دار النشر كليت - كوتا Klett-Cotta.

يمكن الاطلاع على هذا الكتاب وغيره من إصدارات الدار على الموقع التالي

www.klett-cotta.de

هينيج آرينز

المهر

رواية

ترجمة: أميرة أمين

Klett-Cotta

حصل مؤلِّف هذا العمل على منحة من صندوق دعم الأدب الألماني Deutscher Literaturfond e. V.

دار نشر كليت – كوتا Klett-Cotta

www.klett-cotta.de

طبعة عام 2021 الصادرة عن J. G. Cotta’sche Buchhandlung Nachfolger GmbH

المؤسسة عام 1659، شتوتجارت

كل الحقوق محفوظة

الغلاف من تصميم شركة: ANZINGER UND RASP Kommunikation GmbH, München

مع الاستعانة بصورة من

© Getty Images, Merche Portu, Flying stork

مصممة من قبل:

C.H.Beck.Media.Solutions, Nördlingen

طباعة وتغليف: CPI – Clausen & Bosse, Leck

رقم الإيداع الدولي

978-3-608-98414-9

رقم إيداع الكتاب الإلكتروني

978-3-608-11672-4

أغسطس 1962 – مُغَسِّلَة الموتى

يلقي البيت بظله على الحديقة، بينما تحمل جيردا ديركنج فطورها إلى الشـــرفة، وتلتمع قطرات الندى فوق العشـــب تحت شـــمس ما قبل الظهيرة، وتتألق الزهور في الخلف في المنطقة الواقعة أمام حظيرة الدجاج.

تحمل صينية وضعت فوقها شريحتين من كعكة القهوة وإبريقًا يرقد فوق مفرش من المشـمع ويختفي أسـفل غطاء مُبطَّن. تجلس إلى الطاولة في الحديقة وتسـكب لنفسـها بعض القهوة. هذا القدح هو واحد من القطع القليلة التي ورثتها باعتبارها واحدة من بنات المهاجرين، وينتمي إلى طقم روزنتال كانت أمها قد جمعته واقتنته قطعة قطعة. كان والدها يعمل حِرَفي درفلة[1]، لذا لم تكن أسـرتها يومًا ميسـورة الحال، فكل واحدة من هذه السلع الكمالية ومن ضمنها هذا الطقم، تم شراؤها مع كثير من وخزات الضمير. تغمس في هذه اللحظة شـريحة كعكة القهوة في القدح وتلاحظ كيف تتحلل طبقة السـكر في الداخل، ثم تترك مذاق القضمة الأولى الحلو اللاذع ينساب على لسانها. تبدأ يومها دومًا بهذا الطقس، وتشعر كل يوم بالأسف لأن الشريحة مطلية بالسكر من جهة واحدة فقط.

تنصت، هاك قطها المقاتل المرقط باللون الرمادي يتمدد ويتثاءب مزمجرًا. أطلقت عليه اسـم هايني، تيمنًا باسـم خطيبها الذي رحل عام 1918. منذ وفاة والديها وهو رفيقها الوحيد في المنزل، ومع سـنوات عمره الخمسـة عشـر يكون قد بلغ حدًا من الكبر يفوق ما بلغته هي. تدرك جيردا أن ميلادها تزامن مع ميلاد القرن الجديد.

ترشف رشفة من القهوة، وتعيد غمس قطعة الكعكة في القهوة. تسأل هايني: "هل يمكنك أن تقول لي يا هايني لماذا يغطون جانبًا واحدًا فقط بالسـكر؟ أتوقع أنها سـتكون ألذ، بل وسـتزيد من مذاق حلاوة

[1] الدرفلة هي عملية صناعية تعتبر إحدى طرق تشكيل المعادن، وتعتمد فكرتها على تمرير المعدن على البارد أو الساخن عبر أجسام أسطوانية ثقيلة وذات صلادة عالية تسمى الدرافيل، وذلك بهدف تقليل سمك الصفائح أو قطر القضبان. (المترجمة)

القهوة. في كل مرة أنســـى أن أســـأل الخباز عن ذلك. هل تظن أنني صرت كثيرة النسيان؟"

يخطو هايني فوق العشب ويبدأ في تنظيف نفسه.

لا تكاد حديقة جيردا تزيد في العرض عن ثلاثة أثواب متجاورة من الكتان، يحيط بها من اليمين شــونة الحبوب الواقعة في عزبة عائلة هارشــتيك، ومن اليســـار بيت عائلة ليب ومزرعتهم، والتي تعتبر قطعة الأرض التي تسكنها جيردا جزءًا منها.

منحها فيلهيلم ليب الأب الحق في سُـــكنى هذا المنزل مدى حياتها، وهي تعرف أنه سيحفظ وعده، فهو رجل ملتزم من هذه الناحية. لو كان في مقدورها أن تضـــم تلك الملكية إلى عقد الزواج، لكان قد تزوجها وقتذاك قبل أكثر من ثلاثين عامًا. لقد كان حبها الثاني. لكن الحقيقة أنها ابنة أحد العمال، أي أنها دون المســـتوى المطلوب. وحينما قرر في النهاية أن يتزوج من كيتِه، وريثة العزبة، قررت جيردا في المقابل أن تقضـــي حياتها وحيدة، وحيدة ولكن لديها حق تقرير المصـــير. ولم تندم على هذا الاختيار يومًا. يكفي الإنســـــان أن يتحمل قدرًا معينًا من الإحباطات.

لا يوجد شـــيء يســـتحق أن يتحمَّله المرء فوق طاقته. إن طبيعة عملها بالأجر لدى عائلة ليب وعائلة أو اثنتين أخريين، صارت أكثر مشقة بفعل الســـــن، فضـــلًا عن قدرتها على الاحتمال. كما أن عملها الآخر لم يعد يضيف لها شيئًا؛ فهي "مغسّلة الموتي"، هكذا تُلقَّب في القرية. عندما يموت أحدهم، تُستدعى جيردا. كل العائلات تقريبًا وقفت ببابها، ودخلت جيردا كل بيت تقريبًا، ورأت الجميع، بما فيهم الشـــاب والعجوز، من هو في فراش الموت أو هناك حيث صعدت الروح، في الغرفة أو في الردهة أو في الحظيرة. غسَّـلت الموتى وصـفت شـعورهم وهذَّبت أظافرهم وألبســـتهم كما يرغب ذووهم. وكانت تســـتمع رغمًا عنها إلى ما يدور حولها من نواح أو حزن، أو حتى سخط.

نعم، لقد رأت كل شـــيء، رأت الكثيرين، وهذا يكفي. ســـتبلغ قريبًا منتصف العقد السابع من عمرها، لذا فإن نهايتها هي شخصيًا تقترب، فلماذا عساها تستمر في تجهيز الموتى؟ كان من النادر في الماضي أن تجد لدى أحدهم هاتف، لكن كان لديهم عربات تجرها خيول أو دراجات أو كانوا يترجلون ببســاطة، ويتحركون بهذه الوســائل ليحضــروا

مغسـلة الموتى، حتى لا يتكبدون عناء الذهاب إلى الحانوتي في مركز المدينة. وفي خلال تلكم السنوات ازداد عدد السيارات باستمرار وأخذت تسير عبر القرية على مدار الساعة. ولم يقتصر هذا الأمر على بارونات تجارة بنجر السكر، بل إن عمال كثيرون صاروا يمتلكون مركبات.

لذا قررت جيردا أن تتوقف عن العمل. تلوح على وجهها ابتسـامة بينما تأخذ قضـمة من كعكة القهوة. من هذه اللحظة سـوف تكرس نفسـها للأحياء، لصـديقاتها على وجه الخصـوص، صـديقاتها اللاتي تحب أن تجلس معهن إلى تلك الطاولة، وستعود إلى القراءة أكثر من ذي قبل.

تخاطب قطَّها الراقد على الحشـائش متأملًا الحديقة قائلة: "ما رأيك يا هايني؟ أليس الطقس جميلًا؟"

يتراقص ذيله إشـارة إلى الجواب، لكنه في الحقيقة كان يراقب سـنجابًا يتأرجح على شـجرة البندق على مرمي بصـره. على مدار حياته كقط تمكن من اغتنام عدد غير محدود من الفئران وللأسـف بعض الطيور، لكن لم يسـبق أن اصـطاد سـنجابًا، وها هو يرى تلك الحيوانات رشـيقة الحركة تتقافز أمامه الآن.

تقع خلف حظيرة الطيور الخاصـة بجيردا أشـجار حديقة الفاكهة التي تمتلكها عائلة هارشتيك. ستنضج ثمار البرقوق والجنارك[2] قريبًا، وكذلك التفاح والكمثرى. تحفظ جارتها آناماري هارشتيك الفاكهة في مرطبانات، ثم تحولها إلى مُربى وإلى حلوى الموس، كما تصـنع حسـاء الفواكه البارد الرائع الذي تناوله لجيردا أحيانًا عبر السـياج، وتجلس معها أحيانًا إلى هذه الطاولة. إلا أنها في تلك السـاعة اعتادت أن تجلس بصـحبة هايني وطائر الشُـحرور الواقف على أحد أعمدة السـياج، وبعض طيور القرقف الكبير التي تتشاجر بين أزهار الليلك. ترى السنجاب يقفز فارًّا.

بعدما تحتسي جيردا قدح القهوة، تنهض لتحضر جوال علف الدجاج من غرفة الغسيل، وتستبدل نعلها بالحذاء الجلدي المزود بمقدمة للحماية والذي كان والدها ينتعله في عمله. لقد ورثت منه مقاس قدمه، 42، وهو ما تراه عيبًا ـــــ لأنها بالكاد تجد حذاءً ملائمًا، وعلى العكس من آناماري لا ترتدي جيردا الأحذية ذات الكعب العالي، بل تكتفي بالأحذية المنخفضة التي تلائم الغرض المطلوب.

---

[2] الجنارك الأخضر هو نوع من الفاكهة المستنبتة من تهجين ثمار الخوخ الأوروبي. (المترجمة)

بينما تمر على الشـريط العشـبي الطويل الضـيق حاملة في يدها جوال العلف، تتأمل أحواض الزرع على الجانبين. لقد أزهرت نباتات الخطمة، كما نمت كل الخضـــروات في الحوض المقابل الذي زرعته أمام حظيرة الدجاج، وأخذت الأجزاء الخضراء من البطاطس في الذبول؛ وهو ما يعني أنه في إمكانها أن تحصـــدها قريبًا. يهرول الدجاج إليها منقنقًا بمجرد أن تفتح بوابة شـبكة أسـلاك السـياج، إنها سـبع دجاجات رود آيلاند حمراء وديك. تتصـــاعد إلى أنفها رائحة العفن المحببة، المؤلفة من التراب والروث.

تنادي علي الدواجن: "بوت بوت بوت بوت"، وهي تدس يدها داخل الجوال وتنثر العلف باحترافية، بينما تعتلي وجهها علامات الحماس كامرأة خبيرة في ما تفعله. يريد هايني أن يتسـلل إلى داخل الحظيرة، فتغلق البوابة بحركة من قدمها وتقول: "أنت تظل في الخارج، فليس لديك ما تبحث عنه بين هذه الدواجن، فأنت لا تخطر لك إلا الأفكار الغبية". وبينما تنشغل الدواجن بالتقاط الحبوب، تدلف هي إلى الحظيرة باحثة عن البيض.

تدس جيردا في النهاية خمس بيضات في جيب مريولها، وتبدل حذاءها، وتأخذ الصينية وتذهب إلى المطبخ. يبدو مطبخها مظلمًا كباقي حجرات منزلها الواقع في ظل مزرعتين. بينما تغسل القدح تسمع أحدهم يقرع الباب، لذا تجفف يديها في منشفة الأواني قبل أن تتوجه لترى الطارق.

تفتح الباب فإذا بها ترى فيلهيلم ليب الأب أمامها، يرتدي حذاءً ذا رقبة وبنطال ركوب خيل وسترة عمل، وشعره الأشقر الرمادي مشعث، وفمه مبهم الحدود من فرط الشـــحوب ورفيع كقلم رصـــاص، تجده أمامها وقد خلع قبعته وضمها بين يديه الاثنتين.

يقول وعيناه تحملان نظرة استجداء: "جيردا ..."

لم تتراجع دهشـــتها، فهي لم تعتد ذلك من فيلهيلم ليب، هذا الرجل المعتدّ بذاته والمتكبر أحيانًا. إن من يقف أمامها ليس هو "الجنرال" كما يطلقون عليه في القرية من باب الســـخرية، لما لديه من رغبة في الشـــعور بالإعجاب من الآخرين. كلا، هذا الرجل يبدو كجندي في جيش مهزوم.

تسأله: "ما بك يا فيلهيلم؟ مظهرك مريع. هل ترغب في بعض القهوة؟"

فيلهيلم ليب، الرجل المخضرم، يقف هنا مذبذبًا، ويتحاشى نظراتها. كل هذا ليس معتادًا لرجل مثله.

على الجانب الآخر من الطريق، خلفه تمامًا، تسترق سيدة عائلة زيدنتوب النظر عبر فتحة الستارة، وجيردا تقول: "فلتدخل إذن".

يحرك رأسه رافضًا وهو يقول في انكسار: "لا، شكرًا". ثم يكرر قائلًا:"جيردا .. نحن نحتاجك".

تحدق فيه وتفكر؛ إذ أن الأمر لن يتجاوز احتمالًا واحدًا. تتردد لبرهة ثم تقول: "لم أعد أقوم بهذه الوظيفة يا فيلهيلم. الأفضل أن تتصل بحانوتي مدينة باينه". تقول ذلك وهي تفكر فيمن عساه يكون المتوفى، من المؤكد أنها ماجدا، أم فيلهيلم البالغة من العمر خمسة وثمانين عامًا. هذا هو الخطب الوحيد الذي يمكن أن يفسر سلوكه ومظهره، فطالما بلغت مشاعره تجاهها حد التقديس.

يقول: "جيردا. لن يستطيع غيرك أن يقوم بذلك. لا أريد أغرابًا في البيت. هلا تفعلين ذلك من أجل الأيام الخوالي؟ من فضلك".

هنا ينتابها العجب رغمًا عنها، فهي لم تعتد منه هذا الخضوع أبدًا. تشعر بتشويش في تفكيرها لوهلة، إذ يبدو أن الأمر لا يتعلق بماجدا.

تسأله مستفسرة مرة أخرى: "ماذا حدث إذن؟ هل أصيب أحدهم في حادث؟" ثم تضيف بغتة في استنكار: " أي أيام خوالٍ تقصد؟ لقد ألقيت بما كان يربط بيننا حينذاك عرض الحائط، هكذا ببساطة".

يتنحنح فيلهيلم ليب، ويستيقظ في نظرته الكبر القديم، ويرد قائلًا: "لقد مضى دهر على هذا الحديث يا جيردا، ولم يعد له قيمة. هل تريدين المساعدة الآن أم لا؟"

تتسمر في مكانها لحظة وكأن أحدهم ناولها ضربة على رأسها، ثم تصفع الباب أمام وجهه. تقف بعدها خلف الباب في ردهة المنزل المظلمة وتحاول السيطرة على نفسها. تأخذ شهيقًا، وترى دون قصد صورتها في مرآة خزانة الملابس، لتجد امرأة مسنَّة، تكوم شعرها الأبيض أعلى رأسها، تنظر إليها. تهتدي في النهاية إلى فكرة أن فيلهيلم معه حق بالفعل، فهذا حديث يعود إلى عهد بعيد، كما أنهما كانا صغارًا أبرياء حينها. تفكر لوهلة على نحوٍ آخر: لا، لن تتركه الآن في هذه الورطة، وإلا فهي امرأة تافهة. كما أنه لا يزال بينهما حق الصداقة.

فلتفعل ذلك لآخر مرة، وبعدها ســـتغلق صـــفحة تغســـيل الموتى إلى الأبد.

تفتح الباب مرة أخرى لتجد فيلهيلم ليب الأب مكانه. يلوح بيده في اضطراب وكأنه يقدم لها اعتذرًا، وهي تتطلع في صمت.

تقول جيردا: "حسنًا. سآتي معك. لكن أخبرني ماذا حدث".

يمتقع وجهها وهي تنصـــت لحديثه المقتضـــب المتلعثم، فيختتم حديثه قائلًا: "ســـأرســـل من يأتي بك عندما يحين الوقت"، ويضـيف وهو يلتفت منصرفًا: "شـكرًا جيردا".

ثم يبتعد منكسًّا رأسه وعاقدًا يديه خلف ظهره.

تتراجع جيردا إلى ردهة المنزل وتغلق الباب.

إبريل 1945 – نذير الشر

يوجد لديهم هاتف في المنزل، لأنه يضم مكتبًا لكتيبة العاصفة (SA)[3] والتي كان يرأسها في الماضي قائد الفرسان والفلاح إرنست أوجوست مارتين فيلهيلم ليب، الذي ظل رئيس الاتحاد المحلي للفروسية والقيادة ورئيس رابطة شباب سكسونيا السفلى حتى عام 1933، لكنه يشغل حاليًا منصب قائد استثنائي بدرجة ملازم أي أنه عاد جنديًا بسيطًا. ولكن من عساه يعلم هذه الحقيقة، فلا يوجد أثر لأي شيء، والبريد الميداني لم يعد يأتي.

صحيح أن لديهم هاتف، لكن الخطوط مقطوعة في هذا الصباح الرمادي ليوم التاسع من إبريل، ولا أحد يعلم أي شيء على وجه التحديد. لكن هناك على الأقل أمر واحد معلوم: الأمريكان قادمون. حينما كانت الفلاحة كيتِه ليب تضع أوعية اللبن أمام البوابة في الصباح الباكر، أخذ فورنيفيت، جامع الثياب البالية، يقعقع بعربته القديمة ذات الأحصنة عبر القرية، ويدفعها بعنف مصحوب بالضربات واللعنات، ثم صاح بكيتِه قائلًا إن الأمريكان على الأعتاب، وإن الدبابات تقف مباشرة أمام مدينة باينه، وإنه من الأفضل لنا أن نتصدى لهم، لأن العدو لن يصبر طويلًا، فسيقضي بكل وحشية على كل شيء، وسيستولي على كل ما يلمع أو يبرق، وأضاف إنها يجب أن تقدم للعدو الحبوب وزجاجات مشروب الشنابص حتى لا يستولي في المقابل على ما لديها، وحتى لا تلتهم قوات "الحلفاء" كل شيء وتحل بنا الويلات.

عندما لاحظ فورنيفيت أنه لا يوجد لديها سوى الحليب، قال: "اختبئي أيتها السيدة، اختبئي وإلا فسوف يجتاحون بيتك بلا هوادة". أنهي قوله ثم سار في الطريق المرصوف بالحجارة المتجه إلى أعلى. حذَّر أيضًا الحدَّاد ألبرشت كونِه في طريقه بصيحات صاخبة، واقترح عليه أن يوفر لديه مخزونًا من الأشياء الثمينة ومشروب الشنابص، لكن كونِه لم يفعل شيئًا سوى الضحك.

---

[3] كتيبة العاصفة أو Sturmabteilung واختصارها SA هي الجناح شبه العسكري للحزب النازي. لعبت دورًا مهمًا في صعود أدولف هتلر إلى السلطة في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، وكان غرضها الأساسي توفير الحماية للتجمعات النازية، وتعطيل اجتماعات الأحزاب المعارضة. (المترجمة)

تبعت كيتِه العربة ذات الخيول ببصـرها حتى توارت خلف الربوة، في تلك اللحظة شـــعرت بألم في ذراعيها من جراء ســـحب حملها الثقيل، ولما أخفضـــت بصـــرها إلى أوعية الحليب، تســـاءلت إن كان من المتوقع أن يُقبل الناس على طلب الحليب في ظل هذه الأحداث. وعلى الجانب المقابل في مزرعة زيدنتوب، سُـــمع صـــوت انغلاق أحد الأبواب والجارة ليزيلوتِه تصيح بزوجها، الذي كان قد فقد ساقًا قبل ذلك في الحرب في روســيا. يبدو البيت أمامها الآن كمبنىً متداعٍ، وأمامه المزرعة، وها هي ليزيلوتِه، هذه المرأة الناقدة التي تتحدث بســـوء عن كل شـــيء وكل شـــخص، لذا تقتصـــر كيتِه ليب في علاقتها بها في الغالب على التحية والإيماءات.

عادت إلى المزرعة و سارت عبر الحديقة الأمامية مرورًا بأ شجار الفاكهة التي صـــارت باهتة بفعل الجير الذي ســـقط وكســـاها في الخريف، ثم دلفت عبر باب المنزل ذي التصـميم الرباعي، وخلعت حذاءها ومعطفها. تصـاعد إلى أنفها في الردهة رائحة المشـــروب بديل القهوة، إنها عبارة عن قهوة خفيفة مقلدة، فحبوب البن الحقيقية لم تعد ســـوى ذكرى. تفكر أنه من الأمور الطيبة أن يكون لديهم مزرعة في هذه الأوقات، حيث يتوفر على الأقل احتياجهم من الطعام، بالإضـــافة إلى أنهم يذبحون الماشية في السر، فاللحم في هذه الظروف مقدَّم على الوطن، والكل يتحلى بالصمت تمامًا إزاء ذلك الفعل، لأنهم يحصلون على نصيبهم من اللحم والمرق.

تجرجر قدميها في نعليها وهي تمشي في الردهة، وترى على الأرضية الحجرية ضـــوءًا قادمًا من المطبخ. عندما تدخل تلمح أمها، هيرتا كروزِه، البالغة من العمر أربع وســبعين عامًا، تجلس إلى الطاولة في زي النوم. إنها تعد دائمًا طعام الإفطار على الرغم من خطواتها المهتزة، تراها وقد جهزت المائدة للعائلة كلها بما في ذلك كؤوس البيض المسلوق.

"من هذا الذي كان في الشارع؟"

"فورنيفيت". قالتها كيتِه وهي تتناول الإناء المطلي من فوق الموقد الذي تتوهج داخله قطع الفحم، وتصب لنفسها بعضًا مما فيه.

"هكذا إذن؟ وماذا كان يريد؟"

"يريد مشروب الشنابص".

" نعم هذا أكيد...! وماذا أيضًا؟"

ترتشف كيتِه رشفة من القهوة البديلة وتصمت. إنها ستحتفظ بكل المستجدات لنفسها حتى تفصح عنها في وجود الجميع، لذا لم تقل سوى: "لقد طلب من كونِه أيضًا".

غمغمت أمها في تذمر: "يالهؤلاء الرجال. إنهم هكذا دائمًا".

قالت كيتِه ليب وهي تجلس: "نعم، نعم". تنظر عبر النافذة إلى شجيرات التوت التي بدأت تنمو مرة أخرى. يالهذه الفواكه التي تتطلب جهدًا كبيرًا. هذا أكيد. يشرف جوزيف الخادم على عمل السيدات، ولديهم أيضًا مارتين الفرنسي، وباول البولندي، الذين يبيتون مع أسرى الحرب الآخرين طوال الليل في مطعم القرية. يجب أن يكونوا بالقرب من هنا، على الرغم من أنهم لا يحبون العمل في الحديقة، ويتشاجرون أحيانًا. يرقد والدها مريضًا في فراشه، أما ابنها فيلهيلم فلا يزال صغيرًا. تعلم أنه يتحمل مسؤولية كبيرة للغاية بالنسبة لسنه، لكن من لها غيره بعد ما حدث؟ رحل أبوه بعد الحملة العسكرية ضد فرنسا إلى الحرب مرة أخرى. إن الهيبة والسُمعة هما أكثر ما يهمانه. إنه إنسان طموح وهي معجبة به لذلك السبب، وطالما شعرت بالفخر عندما يلقي خطبة أو يجلب إحدى المسرحيات بالتعاون مع اتحاد شباب سكسونيا السفلى إلى مطعم القرية. لا وجه للمقارنة بين أزواج أخواتها وصديقاتها وبينه. صحيح أنهم رجال طيبون لكنهم معتوهون، كما يحب فيلهيلم أن يطلق عليهم دومًا، عندما تنفك عقدة لسانه بعد بضع رشفات من مشروبه الكحولي. كانت تضحك حينذاك وتأخذه بين ذراعيها. لكن الآن .. تفكر لو أنها استمعت إلى أختها التي كتبت لها قبل الخطوبة: **إذا افترضنا أن فارسك الهُمام سيفي بوعده الذي قطعه لك بأمانة وإخلاص، لكان رجلًا نبيلًا. لكن يجب علينا أن نتمهل ونتأكد، عزيزتي كيتِه. أكررها لك: تأكدي وتأكدي. إن الدم الموروث يجري في عروقه هو الآخر كما تعلمين، ولا يصح التهوين من هذا الأمر.**

"الدم الموروث" هذه الكلمة كناية عن والد زوجها وجده، اللذان كانا زيرا نساء في شبابهما.

تقول أمها: "مرحبًا فيلهيلم، صباح الخير يا بني".

يقف هناك ابن كيتِه الأكبر، أشـــقر ونحيف وله نفس جبهة أبيها العالية، كروزِه الكبير. يرتدي روب الحمام فوق ثوب النوم ويدس قدميه الطويلتين في جوارب صــوفية ونعال، وعيناه الزرقاوان لم تســتفيقا بعد من النوم. تقف كيتِه وتصب له بعض من بديل القهوة، وتحضر كذلك مرطبان موس البرقوق الذي احتفظت له به من الخزانة.

تقول: "اجلس أولًا يا فيلهيلم وكل شيئًا".

تحذره أمها: "لا تزال نحيفًا للغاية يا بني. لا بد أن تأكل يا فيلهيلم. ألا تريد أن تصير كبيرًا وقويًا؟"

يقول فيلهيلم: "ولكنني قوي بالفعل".

"نعم، لحسن الحظ أنك تستطيع المساعدة، لأن والدك يجب أن يحارب ضد الروس في مكان لا يعلمه إلا الرب".

يومئ فيلهيلم، الذي لم يعش مع والده في الســنوات الســت الأخيرة سوى فترات قصيرة متفرقة، ثم يقول بفم ممتلئ: "سننتصر. سيمحو الزعيم أعدائنا من على وجه الأرض، لكنه ينتظر الوقت المناســب فقط كما يقول أوتو".

تتذكر كيتِه ليب أن الأمريكان يقفون على أعتاب باينه، لكنها لم تفصــح عن ذلك. إن أوتو جروتيفول صديق فيلهيلم منذ كانا ســويًا مع الشــباب المناصر لهتلر، وهو يحب أن يطنطن بهذا الحديث في كل مكان. هي لا تحبه، فقد وشــى بوالده في الماضــي، لأنه كان قد ســبَّ الزعيم هتلر ووصفه بأنه جندي بوهيمي[4]. ومنذ ذلك الحين وجروتيفول الأب نزيل في ســجن فولفنبوتيل. كيف يمكن أن يتســبب أحدهم في ســجن أبيه؟ إن زوجها فيلهيلم مختلف عنه تمامًا، لو كان مكانه ما كان ليفعل ذلك أبدًا. لكن أوتو نال بالرغم من ذلك مكانة عند فيلهيلم، وصــارا يقضــيان وقتًا أطول مع بعضــهما حين تُمنح "عطلة الفحم"[5]. تفكر كيتِه أنها كلمة

---

[4] البوهيمي هو وصف لمواطني منطقة بوهيميا التشيكية، وكانت الكلمة تستخدم لوصف الغجر القادمين من رومانيا إلى التشيك، وكانت تطلق على أي شخص ذي سلوك غير مألوف، وفي هذا السياق استخدمت الكلمة للتقليل من شأن الموصوف. (المترجمة)

[5] "عطلة الفحم" هي إجازة استثنائية كانت تمنح للمدارس والجامعات في أوقات الأزمات والحروب لترشيد استهلاك الطاقة. (المترجمة)

عجيبة لأنه يمكن أن يُفهم منها أن الفحم هو الذي يقوم بالعطلة أو أن الناس يحصـــلون على عطلة لنقل أو إحضـــار الفحم، لكن الحقيقة أن هناك نقص في مصـــادر الطاقة المســـتخدمة للتدفئة، والطقس في المدارس شديد البرودة لدرجة لا يتحملها الطلاب.

ترد كيتِه في حدة غير معتادة منها: "نعم يا فيلهيلم، ولســـوف تصـــير دهشتنا أكبر عندما نرى الأسلحة العجيبة".

هنا تدوي بعض الأصوات في الردهة مع اقتراب والدة زوجها ماجدا ليب، يتبعها الأوكرانيتان اللتان أحضـــرهما رب البيت في إجازته الأخيرة من الجبهة، لأنه أراد الحفاظ عليهما في أمان. لا تســـتطيع كيتِه أن تقمع غيرتها عندما ترى الفتاتين الشـابتين البضَّـتيْن، ذاتا الوجنات الوردية. إنه تأثير "الدم الموروث" على كل حال. لكن الفتاتين تســـاعدان في العمل على الأقل. ترتدي والدة زوجها الســـواد كالعادة وتضـــع عويناتها ذات الزجاج المستدير فوق أنفها، وتداعب شعر فيلهيلم وتلقي التحية على الجميع. تنظر ناحية نار المدفئة وتشـــير إلى إحدى الأوكرانيتين لتضـــع المزيد من قطع الفحم البيضاوية. هكذا تبدو حماتها، ذات الثمان وستين عامًا. إنها لا زالت تمســـك بزمام الأمور كما كان الحال في زواجها، فزوجها المتوفى فيلي لم يكن مزارعًا على درجة كبيرة من المهارة، علاوة على أنه أصـيب عام 1916 في معركة بحيرة ناروك، حينما شـــن الروس هجومًا عليها، سعيًا منهم إلى قلب دفة الحرب لصالحهم.

تقول ماجدا ليب: "كان فورنيفيت ينطلق بحصانه الهزيل في أنحاء القرية وكأنما يسعى الشيطان ذاته خلفه مباشرة، ويصيح بكلام غير مفهوم، كان ذاك العجوز الخَرِف سكرانًا تمامًا كعادته".

صـاحت هيرتا كروزِه في ضـيق: "نعم. لقد حكت لي كيتِه ذلك بالفعل. إنها لفضـيحة أن يسـير أحدهم على هذه الهيئة. من حســن الحظ أن زوجي ليس مثله".

مطت ماجدا ليب شفتيها الرفيعتين لأن لديها مآخذ ضد عائلة كروزِه. لم تمد هيرتا المتحذلقة يد المســـاعدة يومًا، بل كانت كثيرة التذمر، ولا يمكن أن تسـير الأمور بهذا الشـكل، هذا أمر لا يحتمل، لكن لا حيلة لنا إذن سوى العض على الأسنان والمضي قدمًا والشكوى للرب الرحيم. إلا أن زوجها جوســـتاف، الذي يرقد في الفراش مصـــابًا بالأنفلونزا، لم يتكاسل يومًا عن العمل. كيف يمكن أن يصبح المرء هكذا؟

على العكس من ذلك فإن زوجة ابنها لطيفة ودؤوبة، لكنها ورثت صـــفةً من أمها، إذ أن بها شيء من الضعف والميوعة. تجلس ماجدا ليب إلى مائدة المطبخ وتصـــب لنفســـها بعضًـــا من بديل القهوة. يلتمع زجاج عويناتها المستدير، بينما تتسلل نظراتها إلى السيدات الأربع وحفيدها الذي يقضم شريحة الخبز بالمربى.

وكأنما أرادت كيتِه أن تشـتت تخوفات حماتها، فإذا بها تقول في حسـم مفاجئ: "الأمريكان يقفون بالأبواب، بالقرب من باينه".

تسأل ماجدا ليب مشدوهة: "من الذي يقول ذلك؟"

"فورنيفيت".

تزمجر حماتها في احتقار: "ياله من أخرق، هذا الفتى لا يكف عن ترديد الأكاذيب".

"ولماذا عساه يفعل ذلك؟ كلنا نعلم أن ذلك على وشك الحدوث".

"هراء".

تتابع كيتِه في إصرار: "إذا أتى الأمريكيون ووجدوا أسلحة الصيد الخاصة بفيلهيلم هنا، فلن يمر الأمر مرور الكرام".

تنوح أمها قائلة: "ســـوف يصـــفُّوننا على الجدار ويطلقون النار علينا بلا تردد".

تجيب ماجدا ليب: "كفي عن المبالغة يا هيرتا. لا أحد يُعدم بهذه السـرعة، وأسـلحة ابني لن تُنقل من هنا، مهما حدث. سـوف يحتاجها عندما يعود".

"لم يعد فيلهيلم يذهب للصـــيد من قبل الحرب. لا بد من التخلص من هذه البنادق والمســـدســـات وكل هذه المخلفات الموجودة في مكتب كتيبة العاصـــفة ...". تفوهت كيتِه ليب بهذه الكلمات في صـــلابة نابعة من خوفها على أطفالها، فيلهيلم ذي الأربعة عشـــر ربيعًا، وجريتيه البالغة من العمر عشـرة أعوام وبرونو ذي السـت سـنوات. تخرج زجاجة ســائل (كلوســترفراو ميليســنجايســت)[6] من الخزانة وتأخذ منها بعض

[6] نوع من أنواع العلاج الشـــعبية المعتمدة المعروفة وهو مشروب كحولي تنتجه شركة Klosterfrau Healthcare Group. (المترجمة)

القطرات على مكعب السـكر الذي تضـعه بحرص فوق ملعقة الطعام ثم تدفع بها إلى داخل فمها. تأخذ شـهيقًا ثم تكرر: "يجب التخلص من كل شـيء، حتى نظل في أمان. فكروا في الأطفال".

ترشـف ماجدا ليب من بديل القهوة في تجهم. أغراض ابنها؟ كل ما هو ثمين وأثير لديه؟ الأسلحة، والمستندات والصور؟ ألبومات الصور وكذلك تلك الخاصـة بالبرلمان النازي. لسـوف يسـتشـيط غضـبًا، لا، هذا غير معقول، ثم أجابت قائلة: "هذا لن يكون يا كيتِه. هذه أغراض فيلهيلم، ولا يمكن أن تمتد أيدينا إليها بأي حال".

هنا تقترح لاريسـا، إحدى الأوكرانيتان، اللتان كانتا تنصـتان في صـمت: "يمكن إخفاؤها. تُدفن في الحديقة".

ترد كيتِه: " سيجدونها، وحينها ستزداد الأمور سوءًا. كلا، يجب التخلص من كل الأغراض".

ينظر فيلهيلم الابن لأمه ويسـأل في صـوت خفيض: "هل صـحيح أن الأمريكان هنا؟"

تقول: "نعم يا فيلهيلم. صحيح".

تغمغم أمها: "الأمريكيون أفضل من الروس".

يخيم الصمت على السيدات الجالسات في المطبخ والفتى ذي الأربعة عشـر عامًا. تفكر كيتِه: عاد إبريل مرة أخرى. نعم، إنها دورة الزمن نفسـها منذ القدم، وعلى الرغم من كل المنغصـات فإنهم يباشـرون الأعمال المميزة لهذا الوقت من العام دون تغيير. صـحيح أن الحرب اندلعت منذ زمن بعيد، لكن لم يكن لها تأثير ملحوظ عليهم حتى ذلك الحين، فلم يتم الهجوم على الصناعات المحلية مثل مصنع الصلب في باينه ومسـابك إلزيد مثلًا، ولم يتعد الأمر إلقاء بعض القنابل سـقطت على المروج الواقعة خلف المزرعة، لماذا؟ لا أحد يعرف. ولم تنجم أي إصـابات في الأرواح، وأخذ الصـغار بعدها يلهون ويلتقطون الشـظايا. بدا القصف وقتها كالصواعق، ثم انتهى الأمر وكان هذا كل شيء.

والآن يجب أن يتغير الكثير؟ يصعب تخيل ذلك، فالخيال عاجز عن التصور. تدرك الأوكرانيتان لاريسا وتانيا ما سينتظرهما إذا ما عادتا إلى وطنهما، لذا يملؤهما الرعب والترقب.

تشـــير دقات الســـاعة ذات الصـــندوق الطويل الموجودة في غرفة الاستقبال إلى تمام السابعة.

تدمدم ماجدا ليب: "لا. لا"، ثم تنظر إلى حفيدها الذي يبدو أنه قد فقد شهيته، وتفكر: يالهؤلاء الأطفال المساكين... يبدو كل شيء هنا صلبًا، بلاط الأرضية كستنائي اللون، والطاولة التي تناوبت عليها الأجيال، وفي الركن مقعد ذو أرجل متباعدة منقوش على مســـنده باللاتينية "1751 بعد الميلاد"، وكذلك القلب المنحوت من الخشب وعليه الأحرف الأولى من اســـم الجدة الكبرى لحفيدها، وهنا ترى الخزانة التي تحوي أدوات المائدة اليومية، وهناك الموقد وأعلى منه أرفف ترتص عليها الأواني والأوعية، وقطع الفحم البيضاوية تتوهج. من حســن الحظ أن لديهم من الفحم ما يكفيهم. كل شيء كالمعتاد. ما العمل الآن؟ إنها تشعر بنظرة زوجة ابنها المهمومة. يبدو أن كيتِه تريدها أن تتولى دفة القيادة، وهذا يرضـــيها بكل تأكيد، لكن من المؤكد أنها لن تصـــبر طويلًا، على العكس من هيرتا، إلا أنها ستفوز بفضل تفكيرها البراجماتي. هنا تنقر بإصبعها السبابة على المائدة، كأنما تضع حدًا للأفكار الدائرة في رأسها، وتقول: "حســـنًا إذن ... إذا فرضـــنا أن الأمريكان على الأعتاب، كما يدعي فورنيفيت السكِّير، فيجب علينا أن ننظف المكان. إن الأمريكان أعداؤنا، و يجب أن نتخلص من هذه الأشياء قبل أن نورط أنفسنا في المشكلات".

تتساءل هيرتا كروزِه في ذهول: "الآن؟"

"إن لم يكن الآن، فمتى إذن يا هيرتا؟ هل تريدين الانتظار حتى توجه الدبابات طلقاتها إلى داخل حجرتك؟"

"لكن إلى أين نذهب بها يا ماجدا؟"

تتفكر ماجدا ليب لبرهة، ثم تقول: "البالوعة. نلقي بكل الأغراض في البالوعة".

تستطرد زوجة ابنها: "لقد أفرغ فيلهيلم البالوعة العام الماضي في أثناء عطلته، في شـــهر إبريل تحديدًا. هل ســـتكون مملوءة لدرجة تفي بالغرض؟"

تجيب ماجدا ليب: "الحيوانات تأكل وتتبرز. هذا هو الشـيء الوحيد الذي يمكننا الاعتماد عليه. ســـنلقي بهذه الفضـــلات في البالوعة. من الذي سيفتش وراءنا هناك؟"

يبدو كأن حفيدها سينفجر في البكاء من فوره. لكن الأمر قد قضي.

يُنادون على باول ومارتين من حظيرة الأبقار، وعلى جوزيف الخادم فيترك تمشيط شعر الخيول، وبمجرد وصولهم جميعًا إلى ردهة البيت، تحتل ماجدا ليب مكانها أمام الأسرة والخدم.

تقول: "فلينصت إليَّ الجميع. العدو يقترب وعلينا أن نقوم بعملية تطهير، إذ أننا لا نعلم ما يدور في رأس هؤلاء الجنود الأغراب. يمكن أن تصل الأمور إلى سوء فهم ونحن في حرب، ومن المعروف أن إطلاق النيران غير مستبعد". تتابع وهي تشير بإصبعها المصاب بالروماتيزم إلى كل من الفرنسي والبولندي: "وأنتما لا تقدما على أي حماقات مطلقًا. يجب أن نكون كلنا على قلب رجل واحد. وبناء على ذلك: مارتين وباول، أنتما ستفتحان كوة البالوعة. جوزيف، أنت ستقف أمام البوابة وتراقب. عندما يظهر الأمريكيون تبلغنا على الفور. مفهوم؟"

يومئ جوزيف برأسه على الرغم من أنه لا يعرف كيف يمكن أن يبدو جندي أمريكي، لأنه لم يغادر مدينة باينه الصغيرة مطلقًا طوال عمره. والباقي من العالم هو بقاع مجهولة بالنسبة إليه، ومن الواضح أن الباقي من العالم شاسع للغاية. يسأل: "وكيف أتعرف إلى الأمريكيين؟"

هنا تتوقف ماجدا ليب لتفكر.

يوضح حفيدها في نبرة مرتعشة: "يوجد على دباباتهم نجوم، وبعض الجنود سود البشرة كالفحم".

تزفر الجدة كروزِه وتقول: " البلشفيين هم الذين لديهم نجوم".

يقول فيلهيلم في تصميم: "الأمريكان لديهم نجوم أيضًا، لكنها نجوم بيضاء وليست حمراء".

"هكذا إذن".

تركز ماجدا ليب بصرها على جوزيف وتقول: "مفهوم؟ نجمة بيضاء وجنود سود البشرة".

يقول جوزيف الذي لا يعرف اللون الأسود سوى من الصور المطبوعة على علب السجائر: "عُلم يا سيدتي. سأقف أمام البوابة ومعي سلاحي".

"ولم؟"

"لا بد أن يكون في مقدوري الدفاع عن نفسي".

"لن يدافع أحد عن نفسه وإلا سنُصرع جميعًا بالرصاص. اصنع معروفًا واترك سلاحك في الحظيرة. يمكنك أن تدس سكينًا صغيرًا في جيبك".

يومئ جوزيف موافقًا، إذ أن لديه دائمًا سكينًا في جيبه.

تكمل ماجدا ليب: "الباقون جميعًا يجمعون ما يجب التخلص منه، وأنا سأحضر أسلحة فيلهيلم".

تسأل كيتِه زوجة ابنها: "والمسدسات؟"

"نعم وهذه أيضًا. أين مفتاح الخزانة الموجودة في مكتب كتيبة العاصفة".

تشير كيتِه إلى لوحة المفاتيح بجوار باب المطبخ وتقول: "هنا. هل أقوم بذلك؟"

" لا. أنت ستدخلين مع الفتاتين إلى المنزل لتجمعن كل شيء عليه علامة الصليب المعقوف، وكذلك صور الزعيم. عندما يأتي الأمريكان يجب أن يبدو الأمر وكأن هذه الأشياء لم يكن لها وجود قط".

يتطلع فيلهيلم الابن ويقول في توسل: "لكنني أريد أن أحتفظ بالحزام، لن أسمح أن يلقى به في البالوعة".

تزجره جدته وتقول: "يجب التخلص منه".

ترد أمه: "ربما يمكننا إزالة الشعار الموجود على قفل الحزام".

تقول ماجدا ليب: "هذا الشيء من مخلفات الشباب المناصر لهتلر ويجب التخلص منه. طالما عزمنا أمرنا، فيجب أن نقوم به على أكمل وجه". ثم تقول وهي تلتفت لحفيدها: "إن جدك لم يحب الزعيم قط يا فيلهيلم، ولو كان حيًا لكان فخورًا بك الآن، إذا ما تخلصت من هذا الشيء".

يغمغم فيلهيلم منكسًا رأسه: "لكن أبي كان كثيرًا ما يقول أن جدي رجعيٌّ الفكر".

تزمجر جدته ثم تصفق بيديها وتصيح: "والآن تحركوا، هيا إلى العمل".

يطيع الجميع، حتى هي تلتقط مفتاح الخزانة من فوق اللوحة وتتجه إلى مكتب كتيبة العاصفة الكائن في إحدى الغرف التي تصطف على

جانبي الردهة الطويلة. نادرًا ما كان يجري تنظيف هذا المكان. كل شـــيء مغبر، خزانات الملفات والخزانة الأخرى ذات الســـتارة الدوارة، وكذلك المكتب والأوراق الموضـــوعة فوق ســـطحه التي كان ابنها قد صفَّها فوقه بشكل نظيف. ونسجت العناكب خيوطها حول حوافر الحصان البرونزي المســـتند إلى جانب حاوية الحبر ومســـند القلم. تجد أمامها صـندوقًا فارغًا، فتضـعه أمام خزانة الأسـلحة وتفتح الخزانة بالمفتاح. ها هي الأغراض، بنادق الصيد ومعها العبوات المملوءة بالخرطوش وطلقات البنادق، وحتى البنادق ذات السبطانات القصيرة والمسدسان الكبيران مشحَّمان ومكسوان بخرق بالية.

عندما بلغت هذا الحد، بدأت تتمهل. ماذا يمكن أن يفعل ابنها عندما يعود إلى الديار؟ لا بد أنه ســـيثور، أجل، لكن الأمريكان يقتربون، وهي تدرك أن هذا العالم في طريقة للفناء، وحين يحدث ذلك ما الذي سينجو من الطوفان في النهاية؟ إذن، لا شـــيء يهم ســـوى النجاة، ولا بد أن يقدم كل منا تضحية، حتى ابنها المعتد بذاته عليه أن يقدم تضحية.

تســـند الأســـلحة إلى الجدار، تصُـــفُّ الطلقات بحرص في الصـــندوق الخشـــبي وتضـــع مســـدسًـــا إلى جانبها. إلا أنها تتردد بينما تتناول المســـدس الثاني، وتفكر: يمكن أن نحتفظ بواحد، يمكن أن نخفيه، فالأمريكان لن يقلبوا المنزل رأسًـــا على عقب بالتأكيد، لن يكونوا بهذه الدقة. ثم تطرأ لها فكرة، توجد هنا كوة خفية في جدار غرفة الطعام، خلف خزانة المؤونة ولا يعرف بأمرها أحد.

بينما تجمع زوجة ابنها والفتاتان الأوكرانيتان كل ما من شـــأنه أن يكون مُجَرَّمًا في نظر العدو، لم تكتف ماجدا بإخفاء المســـدس إلى جانب الحافظة وخزانة الذخيرة المملوءة داخل الكوة فحســـب، بل كذلك خنجر الضـابط وخنجر كتيبة العاصـفة الخاص بابنها، والألبوم الذي يضـم صـور البرلمان النازي وغير ذلك الكثير. أما كيتِه ليب فتقرر بدروها أن تصـــنع لابنها معروفًا بأن طلبت من مارتين أن يزيل الشـــعار من على مقبض حزام شـــباب هتلر، والفرنســـي يلبى طلبها بكل ســـرور، فالأمر ليس عسيرًا بالمرة؛ مجرد ضغطة بالكماشة وينتهي الأمر. لم يشعر فيلهيلم الصـبي بالرضـا، لكنه يسـتطيع على الأقل أن يرتدي الحزام الآن. يقف جوزيف نافثًا دخان سـيجارته أمام البوابة مداعبًا سـكينه في توتر، وهو يتســـاءل من أي الاتجاهات يمكن أن يظهر الجنود الســـود ذوو النجمة البيضاء، هل من باينه أي من اليسار أم من جروس إلزيديه أي من جهة

اليمين. تدور هذه الأفكار في رأســـه، بينما يحمل الآخرون كل ما يجب التخلص منه عبر الممر وصـولًا إلى البالوعة. نُقل في النهاية كل شــيء إلى الخارج وتعاون في ذلك كل من بالمنزل. هنا تأمر ماجدا ليب: "القوا بكل شيء إلى الداخل".

تأمر بإلقاء أســـلحة الصـــيد في البالوعة، فيتطاير في البداية رذاذ قوي يليه طفو قصـير، ثم تغوص الأسـلحة، التي كان ابنها يصـطاد بها الأرانب والغزلان، أســـفل الماء الثقيل النتن. يصـــمت الجميع في توجس، عدا باول الذي لم يســـتطع أن يخفي ارتياحه عندما غاصـــت صـــور هتلر مع تمثال وجه الزعيم أســـفل البراز والبول. تتبدى على وجهه ابتســـامة شـامتة وهو يغمغم بكلمات باللغة البولندية، من حسـن الحظ أن لا أحد يفهمه ولا حتى الأوكرانيتان اللتان تتجمع الدموع الصـادقة في أعينهما. على النقيض من ذلك يبدو مارتين في غاية التهذيب، متعمدًا ذلك ليلاحظه الآخرون، يرتفع ببصره إلى السماء الرمادية، ويجول بعينيه بعد ذلك على الأشجار في حديقة الفاكهة.

تقول ماجدا ليب بعدما تم إغراق كل شــيء: "ســنحرق الأعلام. وإذا ما وجد أحدكم شـــيئًا آخر عليه التخلص منه فورًا". تفكر فيما خبأته داخل الجدار، فتتوزع مشاعرها بين الخجل والانتصار.

سوف تنسى هذه الأشياء مع الوقت بسبب كثرة الأحداث وانشغالهم الشديد، كما أن أفكار ماجدا ستتعلق معظم الأحيان بابنها الذي سيقع في الأســـر على يد القوات البولندية، ولســـوف يســـتمر ذلك لمدة أربع سنوات كاملة.

انغلقت فتحة البالوعة.

في ذلك اليوم الرمادي، التاســـع من إبريل، لم يتقدم الأمريكيون. أما مدينة باينه الواقعة على بعد ثلاثة كيلومترات شـمالًا، سـيتم تسـليمها اليوم التالي سليمة تمامًا بلا مقاومة، كل هذا بفضل شجاعة وحسن تدبير الغزاة، ولكن الحظ سيلعب دورًا أيضًا؛ إذ أن صباح يوم العاشر من إبريل سـيكون ملبدًا بالغيوم، فتسـتطيع إحدى قوات المدرعات الألمانية التي تسير على الطريق السريع الإفلات من طائرات الاستطلاع التابعة للحلفاء بفضل تلك الغيوم، فيصير ممكنًا إقناع قائد القوة بالرجوع.

ســـيتمكن الأمريكيون في الأيام التالية من الدخول إلى قرية كلاين إلزيديه، وهو ما سيصيب برونو، أخو فيلهيلم، بدهشة كبيرة، وهو الذي

اعتاد على المشـــي مع معزته الصــغيرة ممســـكًا إياها بلجام، وكذلك الجلوس فوق كومات الروث محاطًا بالروائح الدافئة الحادة لينجز ما يرغب من أعمال. وفي ظهيرة أحد الأيام، كان قد عاد لبيته توًّا بعدما قضـــى بعض الوقت مع أخته لدى عمته، فإذا به يشـعر بهذا الاقتحام الوشـيك، فيربط معزته في عربة الحرث في الفناء الخلفي، ويصـــعد فوق كومة الروث حتى ييسر على نفسه النظر إلى حديقة الفاكهة ورصيف القطار والمروج و بالطبع إلى معز ته التي تقف إلى جا نب إ طار عر بة الحرث الكبير وتثغو. يجلس القرفصـاء غارقًا في التفكير، ومسـتندًا بمرفقيه إلى ركبتيه، وواضعًا وجهه بين كفيه، بينما تصل إلى مسامعه أصوات عالية من الجهة الأمامية من الفناء، إنها صـيحات وضـوضـاء محركات. يجلس برونو الصــغير الآن في قمة تركيزه، فيتلاشـــى العالم بأكمله من حوله، ويكاد أن يسقط من فوق كومة الروث لما مرقت سيارة عند منعطف عبر الفناء الخلفي. تبحث المعزة عن مخبأ أسفل عربة الحرث، عندما تتوقف ســـيارة جيب تحمل علامة النجمة البيضـــاء، وبداخلها وجهان أحدهما أبيض والآخر أســـود، يعلوهما خوذتان فولاذيتان لونهما زيتوني، ويوجهان البصـــر إلى الصـــبي الصـــغير الذي تبدو أفعاله مفضـــوحة تمامًا، حتى بالنســـبة لأناس من قارة أخرى. ينفجر الجنديان في ضـــحكات مدوية ويصـــيحان تجاهه بحديث لا يفهمه، بل إنهما يلوحان له بالســـلاح والبندقية الآلية. من الوارد جدًا أن يصاب المرء بالإسهال من فرط الرعب في موقف مثل هذا، لكن ما حدث أن برونو الأشـــقر ينزلق بالفعل من فوق كومة الروث، ثم ينهض، ممســـكًا بحاملات الســـروال بكلتا يديه، ويقف أمام السيارة والرجلين اللذيْن ما زالا يضحكان ويشيران له بشيءٍ ما. لكن برونو تربَّى طوال حياته ألا يقبل شـــيئًا من الغرباء. لذا عليه أن ينتظر حتى يأتي أخوه الأكبر ويضـــع له حاملات الســـروال فوق كتفيه ويقبل ما يعرضـه الجنود الغرباء. قطع حلوى صـغيرة وشـيكولاتة. ينطلق الجنـديـان بعـد ذلـك مرورًا بـالبـالوعـة التي لم يعيراهـا أدني قـدر من الاهتمام، غير عالميْن بما تُخفي في أعماقها المظلمة.